

النشاط النقابي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

نعم . . . عندنا أزمة نقاد !

لرسل الاداب الخاص

*

كل يوم يمر في حياتنا الادبية يكشف عن أزمة حقيقية يعيش فيها النقد الادبي عندنا . وهذه الازمة تتصل بجانبه النظري وجانبه التطبيقي على السواء . فمن ناحية نجد ان الجانب الفلسفي الذي يمنح الادب عمقا ، ويربط بينه وبين المجتمع والنفس وفروع المعرفة المختلفة يتعطل ويتجمد ، وتصبح الحياة الادبية موجودة بالقصور الذاتي ، منفصلة تماما عن الوعي باتجاهاتها وتياراتها المختلفة ، او قاصرة على معرفة مضطربة مشوشة بهذه الاتجاهات والتيارات ، ومن ناحية اخرى نجد ان الابداء الذين ينتجون القصة او الشعر او المسرحية يشعرون بالضيق ، وهم على حق ، لانهم قليلا ما يجدون صدى لما يكتبون .

ويستطيع أي مشتغل بالحياة الادبية ان يلمس جوانب هذه الازمة بسهولة حتى في تجاربه اليومية المختلفة ، فمذ اكثر من شهر كتبت مقالا في جريدة « اخبار اليوم » بعنوان : « ادب الثورة .. أين هو » قلت فيه : « انا بحاجة الى مجهود كبير لنخلق ما يمكن ان نسميه ادب الثورة » وفي الاسبوع نفسه تلقيت عدة تعليقات على هذا المقال ، وكلها تعليقات ذات دلالة كما انها تكشف عن بعض المظاهر العملية لازمة النقد في بلادنا .

مثلا .. كتب الي احد الابداء الشبان يسرد لي اسماء رواياته ومسرحياته التي كتبها ، والتي حاول فيها ان يعبر عن احساسه بالثورة وبمشاكل الحياة الجديدة التي نعيشها . ثم لامني لاني ، لا انا ولا غيري من المشتغلين بالنقد الادبي ، لم نقرأ شيئا من هذه الكتب ولم نحسد رأيا معها او عليها .. بل كان الصمت هو الإجابة ، الوحيدة علسى ظهور هذه الاعمال .

ورسالة اخرى تلقيتها من شاب بالاسكندرية ولم تكن هي الرسالة الاولى التي تلقيتها من هذا الشاب ، فقد تلقيت منه عدة رسائل خلال السنة الماضية ، ولم ارد على رسالة من رسائله لاني كنت في غايصة الحيرة امام ما يطلبه مني . فهو يقول انه كتب رواية طويلة ، وهو يريدني ان اقرأ هذه الرواية واكتب رأبي فيها . وكنت اود ان اطلب من هذا الشاب روايته لاقرأها وناقشها ، ولكني لم افعل ، لاني اعلم انني لن استطيع ان افعل هذا لاسباب كثيرة . ولقد كانت رسالته الاخيرة تقول في نبرة ساخرة : كيف تبحث عن ادب الثورة ، ونحن ابناء الجيل الجديد لانجد حتى من يقرأ لنا ، ولا افول من ينشر لنا ؟ كيف تبحث عن ادب الثورة ونحن نكتب لنقرأ وحدنا مانكتبه ؟

وهذا الاديب الشاب يقول الحق ولا شيء غير الحق . بل ان من الحق ايضا انه ليس الوحيد الذي لم ينشر انتاجه ، وليس الوحيد الذي لم يسمع من احد رأيا في انتاجه ، ففي مكاتب المشتغلين بالحياة الادبية العامة اكوام من هذا الانتاج المخطوط ، هناك دواوين شعر فصيح،

وشعر شعبي . وهناك روايات طويلة ومجموعات من القصص القصيرة ، بل وهناك دراسات ادبية كثيرة .

ان دراسة هذا الانتاج وفحصه ومناقشته يحتاج الي حركة نقدية واسعة تعمل في ميدانها اقلام كثيرة . ولو قصر ناقد او ناقدان كسل وقتها على قراءة مثل هذا الانتاج ومناقشته ، وامتنعوا عن متابعتها قراءتهما الخاصة ، واستبعدوا كل ما يشغلها في الحياة لما وجدنا مع ذلك فرصة لاكمال قراءة كل مالمديهم من انتاج ادبي مخطوط . وانسي لاتصور الحيرة والارتباك اللذين يقع فيهما الشباب الذين يكتبون هذا الانتاج عندما يجدون كل الابواب مسدودة في وجوههم ، وعندما لا يجدون صدى لما يكتبون على الاطلاق . ولا يجدون من يقول لهم استمروا او توقفوا ، لا يجدون من يقول لهم انتم على خطأ او انتم على صواب . وانا اعلم تمام العلم معنى هذا المصير ومشتقته على النفس ، كما اعلم ان هذا الموقف - لاشك - سبب جوهرى من اسباب الازمة الادبية في بلادنا .

واسباب الضعف والهزال الباديين على انتاج الجيل الجديد الذي لا يجد من يوجهه ويقوده .. فكانه ابن يتيم في عالم قاس لا يرحم . وهنا يمكننا ان نذكر هؤلاء الابداء العالمين الذين كانوا يجعلون من واجبهم ان يقرأوا بدقة انتاج الابداء الشبان . لقد كان هؤلاء الابداء الكبار امثال تشيكوف وجوركي يفعلون ذلك بدافع اخلاقي انساني ، ولكنهم كانوا - عن ارادة او غير ارادة - يشاركون مشاركة فعالة في تطوير الادب وفتح الافاق الجديدة امام الاجيال الجديدة . ولا يستطيع أي قارئ للادب ان ينسى ان « سكوت فترزجيرالد » اديب اميركا الكبير هو الذي تبنى همنجواي ، وكان يأخذ منه كتبه التي كان يعيها اليه في باريس « عندما كان همنجواي يقيم في باريس في صدر شبابه » فيذهب فترزجيرالد وهو الاديب الالامع المعروف ليقدمها الي الناشر ويقلل المجهود الكبير المخلص في سبيل اقتناع هؤلاء الناشرين بأهمية هذا الاسم الجديد المجهول : اسم همنجواي .

والغربيون الان لا يتركون الامر صدفة تنتظر الحافز الاخلاقي حتى يجد الاديب الجديد من يفهمه ويتبناه ويدافع عنه .. كلا .. فقد تحول هذا الامر الى قواعد اساسية صلبة ، واصبح الناقد جزءا اساسيا من صحف اوربوا وامريكا . كما اصيحت جميع دور النشر تستعين بناقد كبير او بعدد من النقاد ليعملوا بها فيقروا انتاج الابداء ويقرروا قيمته وصلاحيته للنشر بصرف النظر عن اسم صاحبه .

هذا في الدول الرأسمالية . اما في الدول الاشتراكية فالامر يعتمد على نظام اخر حيث تقوم اتحادات الابداء بتسيير الفرصة كاملة امام المواهب الجديدة .

اما نحن فمضطربون تائهون متخبطون . فلا دور النشر تعتمد على النقاد . ولا الصحف تهتم اهتماما جديا بوظيفة الناقد الادبي ، ولا الناقد الادبي نفسه - كما سنشير بعسدد قليل - يهتم بعمله النقدي ويشار عليه . ولذلك اتسعت الازمة وامتدت الى ابعد من مشكلة الابداء الشبان ومخطوطاتهم التي لاتجد من يهتم بها، او مطبوعاتهم التي لا من يقرأها ويناقشها .

فهناك انتاج ادبي اخر اصيب بنفس الازمة ، وكان المفروض الا يصاب بها ابدا . ذلك الانتاج ما يكتبه ادباؤنا المعروفون والذي لا يجد من يهتم

به ويدرسه ويقول رأيا صريحا فيه . والامثلة على ذلك كثيرة لاحصر لها . ولقد كان من الضروري أيضا ان تتسع حركة النقد عندنا بحيث يستطيع النقد الادبي في الجمهورية العربية ان يتابع حركة الثقافة الادبية في الوطن العربي كله ، وخاصة في بلد يفيض بالحياة الثقافية مثل لبنان ، ان في لبنان محاولات لنشويه الثقافة العربية ... نعم ، ولكن فيه ايضا جهودا فكرية رائفة ، فلماذا لانجد لها صدى في القاهرة: عاصمة الثقافة العربية . ان صلتنا الحية الدقيقة بالثقافة العربية في لبنان تكاد تكون مقطوعة .

التقيت منذ شهور بالكاتب العربي المناضل خيرى حماد ، وهو رجل يعيش على الكتابة وللكتابة ، ومع ذلك لم يظهر لنتاجه اثر على افلام النقاد في القاهرة . وهذا هو محور الحديث الذي دار بيني وبينه عندما التقيت به في القاهرة . ثم تلقيت منه رسالة يصور فيها هذه الازمة واعتقد ان هذه الرسالة وثيقة من وثائق الادانة للحركة النقدية في الجمهورية العربية ، يقول الاستاذ حماد في رسالته :

« ليست القضية قضية دعاية ، فانا ابعد الناس عنها . وقد اصبح لي من المكانة في الوطن العربي كله ما احمد الله عليه . ولكنني ما زلت أحس اني بحاجة الى تعريفى الى القاريء العربي في مصر . لاسيما وانني اعتبر ان مكانة الكاتب لاتتوطد دعائمها الا اذا نال حقه من التعريف في مصر وصحافتها التي تمثل مكان الصدارة في الوطن العربي بفضل جهدها ، وجهد ارباب الفكر والقلم في عاصمة العروبة . انني اشعر ان من حقي ان ينالني الاخوان من كتاب مصر بالنقد والتجريح ان كنت استحقها ، او بعض التقدير ان كنت جديرا به ، وليس من الحق في رأيي ان اخرج للقاريء العربي كل هذا الجهد الذي بلغ خمسين كتابا بين مؤلف ومترجم وان لاكون موضوع النقد ان اسأت او بعض التقدير ان احسنت » .

كل هذه حقائق واضحة في الحركة النقدية عندنا ، فالانتاج الادبي والفكري اعظم واوسع من اهتمام النقاد به ، والصلة الاساسية بين الاديب والقاري والتي تتركز في شخصية الناقد صلة ضعيفة محدودة . ان الانتاج الادبي يتراكم والاهتمام النقدي يضعف ويقل .

واذا بحثنا عن اسباب هذه الظاهرة وجدناها واضحة محددة . فالنقاد الذين تكونوا واصبحت لهم شخصية خاصة انعرفوا عن النقد الادبي ، اما الى وظيفة من الوظائف ، واما الى الوان اخرى من الكتابة لاعلاقة لها بالنقد الادبي .. وغالب ما تكون هذه الكتابات سياسية سريعة ، او كتابات اخرى صحفية ، وهناك نقاد اخرون انساقوا وراء الكسل الفكري ، واستجابوا للعوامل القائمة في بيئتنا والتي تصوق الاهتمام الادبي وتغرقه .

وياليت اختفاء هؤلاء النقاد ، او ابتعادهم عن الكتابة في النقد التطبيقي كان يصحبه اهتمام بالدراسات النظرية في النقد الادبي . ان المكتبة العربية بحاجة ماسة الى دراسات عميقة في النقد النظري ، والنقاد الذي يبذل مجهودا واعيا في هذا الميدان انما يفتح امام العقل العربي طرقا واسمة اصيلة ، فالادب الحي انما يتطور ويتقدم على اساس من الوعي النظري . ولكن فقرنا في النقد النظري لا يقل عن فقرنا في النقد الطبيعي ، بل ان ازمنا في النقد التطبيقي امون واخف من ازمنا في النقد النظري . ومع ذلك فالايام تمر - يوما بعد يوم - دون ان ترى سوى اقل القليل من الدراسات النظرية في النقد .

والتقدم في الدراسات النظرية سوف ينقذنا من الممارك الشخصية التي تقوم بين الحين والحين في عالم النقد . لان الاختلاف سوف يكون اختلافا في النظرة الادبية والمذهب الادبي . وسوف ينقذنا الوعي النظري من عشرات الاخطاء التي يقع فيها الادباء الثمان عندما يقبلون على الكتابة الادبية دون مفهوم واضح للادب فتكون النتيجة بالطبع الوانا من الانتاج الادبي الناقص الذي يقوم على ادراك سريع وسطحي للادب . ان ميدان النقد النظري في ازمة تماما مثل ميدان النقد التطبيقي .

وهناك ايضا ظاهرة واضحة هي عدم التخصص في ميدان النقد . ورغم ان المسرح قد اصبح له كيانه وشخصيته في بلادنا الا ان نقاد المسرح المتخصصين الاصلاء غير موجودين على الاطلاق . ورغم ان الحركة الشعرية قد اصبحت حركة عميقة فنقاد الشعر عندنا قلائل محدودون ، بل لقد ظهرت في الجمهورية العربية بالذات حركة يمثلها عدد كبير من الشعراء الشعبيين ، ومع ذلك لم تجد هذه الحركة ناقدا متخصصا اصيلا يفهمها ويناقشها ويفسرها ، اما السينما والتلفزيون فلم يعرفا على الاطلاق نقادا متخصصين يوجهون ويناقشون ما يظهر فيهما من اعمال فنية رغم خطورة هذه الاعمال من حيث صلتها بالجمهور .

وهكذا ... فالنقد عندنا لا تخصص فيه وبالتالي فلا عمق له . وفي البلاد المتقدمة ذات الحيوية الثقافية مظاهر للحياة الفكرية نستطيع ان نتعلم منها ونتعلم عليها ، لان هذه المظاهر كلها تجعل للنقد اصالته ووظيفته الكبرى ... فهناك مجالات متخصصة في تقديم انتاج الجيل الجديد من الادباء . وتلعب هذه المجالات بالطبع دورا كبيرا في الحياة الادبية لانها تشق الطريق امام الجيل الجديد وتفرق الهواء الادبي باستمرار ، وذلك بواسطة نقاد متخصصين متفرعين .

اما ابواب الكتب في الصحف الغربية فهي ابواب اساسية ، يكتبها متخصصون من ذوي الكفاءة الادبية ، وبذلك تصبح الصحف اداة للتقدم الثقافي ومرآة لهذا التقدم . ولكن معظم ابواب الكتب في صحفنا هي اتفه واقل شانا من ابواب الحظ .

ولو ان كل كاتب يوميات في صحفنا جعل من التزاماته ان يقدم فقرة من يومياته عن كتاب قراه سواء كان راضيا عنه او مختلفا معه ... اذن لاستطاع كل الكتاب والادباء في بلادنا ان يجدوا من يقول لهم كلمة ينتظرونها ، ولتحررت الحياة الادبية عندنا من الصدا والجمود . ولوجد كل اديب موهوب فرصته ، في حين ان الكثيرين من الكتاب في هذه الايام لا يجدون حرجا من ان يذكر الواحد منهم انه لا يجد موضوعا يكتب فيه ، او ان يتحدث عن كتاب ثم يقول انه لم يتم قراءته ، او عن مسرحية ويقول انه شاهد فصلا واحدا منها ، ولو علم الذين يكتبون مثل هذا الكلام ان هذه العبارات جديرة بان تثير خجلهم لا فخرهم لترددوا قبل ان يكتبوا شيئا من هذا .

بدون هذه المحاولات الجادة في كل ميدان ادبي وفكري فستبقى الازمة كما هي :

ستظهر الكتب ولا تجد من ينفذها او يقرأها . سيكتب الادباء الثمان انتاجهم ثم يحتفظون به لانفسهم لان ابواب التي يترقونها مغلقة وستظل مغلقة . وسيظل المشتغلون بالنقد بعيدين عن التأثير العميق في الحياة الادبية لانهم لا يحملون المسؤولية كما يجب . وستظل في حياتنا الادبية صرخة تردد على الدوام :
نعم ... عندنا ازمة نقد ... وازمة نقاد .

((ر . ن))

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبى